بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة باجّي مختّار عنّابة

قسم الفلسفة

السنّة : ماستّر1 الأستّاذة: وافيّة مغزّي

المقيّاس: فلسفة العلوم –مشكّلات- السنّة الدراسيّة: 2019-2020

مشكلة المنّاهج المستّخدمة في العلوم الإنسانيّة ونظرياتها

تمهيد :

تمتّلك العلوم الإنسانيّة نظريات متّعددة في المنّاهج النّاجعة لدراسة موضوعاتها المتّفرّقة تتّراوح بين الصّرامة والمرّونة .هذا التّنوّع في حدّ ذاته مُربِك للباحث العلمي ، فإذا كان الباحث لا يستطيع فصل ذاته عن موضوع بحثه، فكيف سينتهج منهجه في الدراسة العلميّة ؟ ، وفي حالة اختارمنهجًا خاصًّا ،فإلى أيّ معيّار استّند أوأيَّ نظريّة اعتّمد ؟ ، ويبرز التّساؤل: منهج العلم وحدة أم تعددّ؟

نظريات المنّاهج في العلوم الإنسانيّة: تنقسم إلى قسمين:

1- **النّظرية الكلاسيكيّة والمنهج الإستّقرائي:**

تمثّلها الإبستّمولوجيّة الكلاسيكيّة ، أين اعتّمد الإستّقراء كمنهج أفضل للعلوم الإنسانيّة الذي يبدأ من وقائع الملاحظة ثم يصعد إلى القانون. وطبعا الممثلين الرّسميين لهذه النظريّة مجموعة من العلماء والفلاسفة ، نذكر منهم على سبّيل الذّكر لا الحصر: "فرنسيس بيكون ، غاليليو غاليلي ، النيوتونيون ، كلود برنار ، فرويد، دوركايم " .

لا يتّساوق منهج الإستّقراء مع النّظريّة الميكانيكيّة للكون فقط ، بل ويماثلها أيضًا .فبعد الثورة على المنطق الأرسطي على يد الثلاثي (فرنسيس بيكون"1561-1626" **(الأورغانون الجديد)**) ، (ديكارت **(المقالة في المنهج)**)، (غاليليو**(قراءة كتّاب الطبيعة المجيد)**) اقتحم العلماء مجال البحث العلمي في الطبيعة وفق منهج خاصّ هو الإستّقراء .

وفي هذه الفترة المبكّرة من تاريخ العلم يبدو أنّ العلماء اقتّصروا في الإستّقراء على الملاحظة فقط، ألم يُحذّر **"فرنسيس بيكون"** العلماء من مغبّة استّخدام الفروض وأسماها

استّباق الطبيعة وكذلك فعل نظيره **"غاليليو"** ، ثمّ جاء من بعده **"جون استورت مل"** ليثبت ذلك.

لكن في القرن الثّامن عشر ، عُرِضت فكرة الفَرَض العلمي على يد العالم الفرنسي **"أمبير"** بتّحفظ ، ثمّ في القرن التّاسع عشر أعيد طرحها بفضل العالم الفرنسي **"كلود برنار(1878-1803)"** في **علم البيولوجيا** الذي أكّد على أهميّة الفَرَض العلمي في البحث التّجريبي . لكن ظلّ الفَرَض استقرائيا يتّقدّم الملاحظة وتال لها.ليتّم وضعه تحت محّك التّجارب ،فإن ثبت يحوّل إلى قانون.

النّجاح الذي أحرزه المنهج الإستّقرائي في العلوم الطّبيعية جعل **"جون استورت مل (1873-1806)"** يعلن في الجزء السادس من كتّابه الأكبر نسق المنطق على ضرورة أن تَنْحو العلوم الإجتّماعيّة والإنسانيّة نَحوَ العلوم الطبيعيّة.ودعى إلى مضاعفة الجهد لتأسيسها كونها في زمنه –القرن التّاسع عشر- لم تؤسس بعد لأنّها تفتّقد إلى المنهج .

بعد هذا النّداء توالت المحاولات التّأسيسيّة ، للعلوم الإنسانيّة ، مثلا محاولة **"أوجست كونت" لفزيأة علم الإجتّماع** ، من خلال نظريته الوضعيّة المتّمثلة في قانون الأحوال الثلاث . ويكون **"اميل دوركايم"** استكمل أشواط الفلسفة الوضعية بفضل كتّابه **"قواعد علم الإجتّماع "**. ثمّ انتّقلت العدوى إلى علم النّفس عن طريق العالم النّفساني **" فرويد"** عندما اكتّشف منهج التّحليل النّفسي . حتّى وصل الأمر برغبة علماء الإنسانيّات إلى الظفر بمنزلة تفوق الفيزياء وذلك عن طريق إعادة تشكيل البشر والمجتمعات كما تفطّن إلى ذلك **"كارل بوبر"** .

هكذا كان العلم الكلاسيكي متّساوقا مع التّصور الميكانيكي للكون ومبدأوه الحتّمي. وكان في كل خطوة يلقى نجاحا يؤكّد الإستّقراء كأفضل المنّاهج العلميّة . هذا ما تفضّل به **"جون استّورت مل"** أكثر الحسيّين تطرّفاً ليختم به نهاية المرحلة الكلاسيكيّة.وكذلك كان التّطرف في العلوم الإنسانيّة.

لكن وقبل **"جون استّورت مل "** بقرن من الزّمان ، أيقظ **"دفيد هيّوم(1711 - 1776)"** العالم من سباته وتفطّن أنّ للمنهج الإستّقرائي مغالطات منطقية ، ففي موضوعة التّعميم الإستّقرائي، لا يوجد مبرّرله على وقائع لم تلاحظ ،ولا وجود لسببيّة يمكن أن تكون سند للتّبرير.وعليه نطرح التساؤل التّالي: كيف غير الشّك الهيّومي منّاهج العلوم الإنسانيّة؟ ، وماذا ترتّب عليه من نظريات؟

2- النّظرية المعاصرة والمنهج الفرضي الإستّنباطي:

تمثّلها الإبستّمولوجيّة العلميّة المعاصرة ، أين أضحى للمنهج الفرضي الإستّنباطي وزنا واعتياراً **على** حساب المنهج الإستّقرائي القدّيم. بفضل ثورة نظريات علميّة في العلم المعاصر ، وتحديدا في علم الفيزياء المعاصر ، متّمثلة في ثورة نظرية النسبيّة لأينشتاين والنّظرية الكموميّة . المتّساوقة مع التّصور الحتّمي واللاّحتّمي للكون .

المنهج الإستّقرائي الكلاسيكي فيه استّحالة منطقيّة ، ذلك أنّ البدأ بملاحظة يستّحيل أن يوصل إلى شيء ، المشكلة كما عرضها **"غاستون باشلار" الواقع هو نقطة النّهاية وليس البداية في التّفكيرالعلمي. هذه الملاحظة** أعقبها انفلات من المنهج التّقليدي وفتح لنطاقات أوسع في النهج العلمي ، فقد أصبح بامكان " بول فيرابند" أن يناقش علم طبيعي بغير خبرة حسيّة أو خبرة تجريبيّة.

والواقع يؤكد على أنّ لا أحد من العلماء في النّظرية الكلاسيكيّة شيّدوا صرح العلم على المنهج الإستّقرائي . بل جميعهم يبدأ بفرض يستّنبط نتائجه ثمّ يختبره تجريبيًا .لكن بسبب سيطرة نظرية الكون الميكانيكي على عقول العلماء حصل التّمكين لوهم الإستّقراء كمنهج أوحد للعلم . وسرعان ماتبدّد الوهم مع النّظرية الكموميّة التّي أضحت تتعامل مع كيانات غير قابلة للملاحظة في حين يمكن ملاحظة آثارها على الأجهزة المعمليّة ، فابتّكر "هاينبرغ" التّجارب الذرية إذا حدث عجز فنّي لإنجاز تجربة أو ابتّداع المنهج الفرضي الإستّنباطي.

الظاهرة الإنسانيّة معقدة التّركيب ، تحكتّم أفعال الإنسان إلى الحرية، العفوية، الجبر ، الآلة، وعليه يبدو المنهج الفرضي الإستّنباطي يوائم طبيعة الظواهر الإنسانيّة ، لأنّه يعتّمد على عنا صر العبقرية والإبداع و الذكاء الإنساني . فكل قانون في هذا المنهج فرض ناجح بالمقابل نجد في الإستّقراء كل فرض ناجح قانونا .

وعلى أي حال يعدّ **" كارل بوبر(1902-1994)"** أوّل من اعتنى بالمنهج الفرضي الإستّنباطي وطبقه في مشروعه في فلسفة العلوم وهو العقلانيّة التّكذيبيّة متّخذا من علم البيولوجيا موضوعا للتّطبيق. حيث جمع فيه بين خير مافي الإستّنباط الأرسطي وخير مافي الإستّقراء التّجريبي وإن كان يبدو من أشدّ المناهضين لمنطق الإستّقراء كما تبدى لنا من خلال كتّابه **" منطق الكشف العلمي"** . فالعلم بالمنظور البوبري كشف واكتّشاف مستّمر للحقيقة .

قبل **"كارل بوبر"** كانت العلوم الإنسانيّة يتّجادبها انكباب على التّجريب وعزّوف عن التّنطير ، بتأثير من المدرسة الأمريكية خصوصا مدرسة شيكاغو في علم الإجتّماع . وبتّأثير من المدرسة السّلوكيّة في علم النّفس وعلم الإقتّصاد . هروبا من المرحلة ما قبل العلميّة حيث كانت المباحث الإنسانيّة مشاكل فلسفيّة ومن التّنظير.

لعلّ سيادة البنيوية في القرن العشرين بمثابة ردّ فعل عكسي لهذا التجريب في علم الإجتّماع . وهو انتّكاس إلى التّنظير باعتبار البنيوبة تعتمد التجريد غير الرّياضي.

ومع تزّايد الإهتّمام بالمنهج البنيّوي تزّايد إحساس الباحثين بالبُون الشّاسع بين التّجريب والتّنظير. وافتّقاد الإنسجام المنطقي بين هذين الطرفين يمثّل منطق مشكلة العلوم الإنسانيّة وحلّها ينطوي على تدارك لهذا لأنّ تقدّمها المنشود منوط به. والمنهج الفرضي الإستّنباطي هو محاولة رشيدة في هذا الإتجاه.

3- الإستّنتاج:

نستّنتج ممّا تقدّم أنّ منهج العلم وحدة و تعددّ . لأنّ النّظريات التّي تحوم حول المناهج متّعددة هي الأخرى تتّراوح بين الكلاسيكيّة والمعاصرة . كذلك الواقع العلمي يستحيل إلى التّنوع ، فالعلم التّجريبي لعلم الإجتّماع غير العلم التّجريبي لعلم النّفس. ذاك بيان قولنا بتّعددها .

أما عن وحدة المنهج ، فنقصد به اشتّشراف الطّبائع العامّة المميّزة للبحث العلمي التّي هي واحدة بحسب ما يدلي به علماء علم المنّاهج ، لا فرق في ذلك بين المنهج الإستّقرائي والمنهج الفرضي الإستّنباطي .

أما مشكلة المنّاهج في العلوم الإنسانيّة ، فحلّها يكمن في التّركيب بين التّجريب والتّنطير من خلال إبداع مناهج بديلة تحصد هذا الغرض .